الفصل الثالث

الإعلال بالحذف

تمهيد:

لكل كلمة عربية مكتوبة مشتقاً كانت أو مصدراً مجموعة من الأحرف. وبين هذه الأحرف التي تتألف منها لا بد أن يتوافر انسجام، يؤدي الإخلال به إلى اللجوء إلى ما يعرف بالتغيرات الصرفية الصوتية، التي ينتظر منها أن تعيد هذا الانسجام(١) داخل تلك الكلمة، فتصبح سائغة، يجري بها اللسان في رفق.

وقد راعى الراسخون في علم العربية في أثناء الدراسة الصرفية الصوتية مخارج الحروف، وائتلافها، واختلافها، وتقاربها، وتباعدها، وما يحدث ذلك فيها من انسجام يدفع إلى استعمالها واستساغتها، ويعطيها وضعاً يكتب لها حياة دائمة، ويهيئها لأداء وظيفتها على أكمل وجه. كما راعوا كل تنافر بين الحروف من شأنه أن يجعل الكلمة ثقيلة على اللسان فيكون سبباً في إدراجها في طي الإهمال(٢).

واللغة العربية تسعى إلى تحصيل التشاكل بين أحرف كلماتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. والتشاكل والمناسبة يتحققان بواسطة التغيرات الصرفية الصوتية التي لا شك أن العسر العضلي هو الباعث الأول إليها. حيث آثر النحويون فيها الجنوح للخفة، وطرح الثقل(٣).

ويرجع " ابن جني" سبب التغيرات إلى الصفات المتشابهة بين بعض الحروف المتجاورة داخل بنية الكلمة قائلا: " وكلما تدانى الحرفان أسرع انقلاب أحدهما إلى صاحبه وانجذابه نحوه"(٤) فما مفهوم التغيرات الصوتية؟

التغيرات الصوتية هي التبدلات التي تقع في بنية الكلمة بين حروفها. والمقصود بالتغير هنا هو التغير غير الوظائفي. أي التغير العارض للاستثقال، لا التغير الذي يغير المعنى. كحذف حرف في نحو " يَعِد "، و" راع"، و" قل". أو قلب الواو ألفاً في نحو

الفعل " قال" وأصله " قول".

و" مقال" وأصله " مَقْوَل". وكإبدال التاء طاء في نحو: " اصطفى" وأصله " اصتفى". حيث تعرضت تلك الكلمات إلى تغيير في أحد أحرفها، دون أن يؤثر ذلك التغيير في معناها. وكل ذلك تتوول في بابي الإعلال والإبدال.

فالإعلال ينمثل في وجود حرف من حروف الاعتلال في الكلمة. يقال: اعتلت الكلمة.، أي كان بها حرف علة، وهي معتلة(٥). والكلمة المعتلة هي التي يكون أحد أحرفها الأصول أو الزوائد حرف علة أو أكثر. ولا يخلو أن تقع هذه الأحرف في أول الكلمة، أو في حشوها.أو في نهايتها المتطرفة(٦).

وتمثل ظاهرة الإعلال نوعاً من التحول الداخلي في الكلمة(٧). وتشمل الأسماء والأفعال. وتهدف إلى تحقيق المواءمة الصوتية في بنية الكلمة المعتلة.

١- الإعلال بالحذف (التحويل بالحذف):

هو ما يعرف بالإعلال بالحذف، وهو سقوط صوت من أصوات العلة بكامله من الكلمة(٨)، أو ما يلحق بها، وهي الهمزة(٩)، وسنقف على صوره في المشتقات والمصادر.

أولاً – التحويل بالحذف في المشتقات:

١- التحويل بالحذف في الفعل الماضي:

لا يخلو أن يكون في عينه أو لامه. أما فاؤه فلا حذف فيها.

أ- التحويل بحذف عينه:

١- التحويل بحذف عينه التي أصلها ياء:

قال تعالى: (لذلك كدنا ليوسف) (يوسف/٧٦). فالفعل "كدنا" ماض وزنه "فِلنا" محول بالحذف. وبنيته العميقة "كَيدِنا" لأنه من الأجوف اليائي "كَيد". وعند اتصاله بضمير الفاعل "نا" المتكلمين، نقلت كسرة الياء إلى فاء الفعل وهو الكاف، فالتقى ساكنان: عين الفعل الأصلية (الياء) وسكون الماضي الظاهر في الدال، فحذفت عين الفعل وبقي ما يدل على ذلك الحذف، وهي الكسرة التي على الكاف

٢- التحويل بحذف عينه التي أصلها واو:

حين نتأمل الآيتين الكريمتين (وقلن حاش لله) (يوسف / ٥١) و(خفتم عليه) (التوبة / ٢٨) نجد أن الفعلين " قلن " و" خفتم " جاء على وزني " فُلن " و" فُلتم " محولان بحذف عينيهما ، إذ إن بنيتيهما العميقتين هما " قَوِلْن " و" خَيفتم " لأنهما من الفعلين الأجوفين: " قال " الذي بنيته العميقة " قول " و" خاف " الذي بنيته العميقة " خوف ".فعند اتصال ضميري الفاعل: نون النسوة في " قلن " و" تم " المخاطبين في " خفتم "، نقلت كسرة الواو في " قَوِلن " والياء المنقلبة عن واو في "خَيفتم" إذ إن بنيته العميقة " خَوِفتم " وسكون الماضي الظاهر في اللام والفاء فحذفت عين كل فعل طلباً للخفة. وبقي ما يدل على الحذف وهما الضمة والكسرة..

ب- التحويل بحذف لامه:

قال تعالى: (قد مضت سنة الأولين) (الأنفال / ٣٨) فالفعل "مضت " وزنه " فَعَت " يلاحظ أنه محول بحذف لامه التي هي الألف، المنقلبة عن ياء مضيت إذ إن بنيته العميقة " مضى + ت " أي " مضات " فالمد الطويل في الفعل تحول إلى مد قصير يجانسه(١٠) حيث حذفت لام الفعل (الألف المنقلبة عن ياء) هروباً من التقاء الساكنين: (ألف المد وتاء التأنيث الساكنة) لكن بقي ما يدل على أن المحذوفة هي ألف، وهي الفتحة.

٢ـ التحويل بالحذف في الفعل المضارع:

أ- التحويل بحذف فائه:

ونقف عليه في قوله تعالى: (إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) (الأنفال/٧) ذلك أن الفعل "يعدكم" جاء على وزن " يَعِلكم " محول بحذف فائه لأن حذفها (سقوطها) يكون فيما عينه مكسورة من مضارع " فَعَل " أو " فَعِل " لفظاً أو تقديراً(١١).

فالسقوط لفظاً في " يعدكم " لأن الكسرة ملفوظ بها. إذ إن البنية العميقة للفعل هي " يَوْعِدكم " وهو مشغل من الفعل " وعد " المثال الواوي. حذفت فاؤه (الواو) لوقوعها موقعاً تمتنع فيه الواوات. وذلك أنها بين ياء وكسرة، أي اكتنفها ثقيلان، ولم يجز حذف أحدهما: الياء لأنها حرف المضارعة، كما لم يجز حذف

الكسرة لأن بها يعرف وزن الكلمة (١٢).

والحذف تقديراً نقف على كنهه في الآيتين: (ولا يطأون موطئاً)(الأنفال/١٣٠). و(يضع عنهم إصرهم)(الأعراف/١٥٧). فالآيتان احتوتا فعلين مضارعين مثالين واويين " وطئ " و" وضع " وبنيتاهما العميقتان " يوطئون " و" يوضع " على وزني " يَفْعلون " و"يَفْعِل " " فالأصل كسر الطاء والضاد والفتح عارض "(١٣). أي أن عينيهما مكسورتان تقديراً. وما فتحتا إلا لكون اللام في الفعلين حرفاً حلقياً، (الهمزة في " يطأون " والعين في "يضع "). ولم يعتد بالفتحة لكونها عارضة مجتلبة لأجل حرف الحلق(١٤).

لأن أحرف الحلق – كما قال ابن الجني: " إذا كن لامات الفعل فتح لهن موضع العين، إذا كان يفعل، فإذا كانت حروف الحلق عينات فتحن أنفسهن أيضاً "(١٥) ونخلص إلى أن كل فعل مثال واوي، كان لامه أحد أحرف الحلق، فإن مضارعه يأتي بفتح عينه محولاً بحذف فائه. إلا في كلمة واحدة هي " يلغ "(١٦) من ولغ "، حيث جاءت بالكسر على الرغم من أن لامها (الغين) حرف حلقي.

وقد يسأل سائل: لم حذفت هذه الواو في الفعل " يذر " الوارد في الآية: (ويذرك وآلهتك)(الأعراف / ١٢٨). مع أن الفعل " يذرك " مفتوح العين، ولامه ليست حرفاً حلقياً، حيث إن الراء حرف لثوي؟ الجواب هو أن الفعلين: " يذر " ويدع " متفقان في المعنى(١٧) يذر ويدع "(١٨)، وحيث إن الفعل " يدع " يحتوي على حرف حلقي يجعل قاعدة الحذف المذكورة سابقاً تطبق عليه أجريت كلمة " يذر " مجراه وحذف هذه الواو يكون في كل تصاريف المضارع الواوي. فالعرب " لا يحذفون موضع الفاء كما حذفوا في يعد "(١٩) لكن حين نتأمل الأيات الكريمات الآتية: (إني لأجد ريح يوسف) (يوسف/ ٩٤) و(فاتنا بما تعدنا)(هود / ٣٢) و(ونذر ما كان يعبد آباؤنا) (الأعراف/٧٠). نجد أن الأفعال: " أجد " و" تعدنا" و" نذر " محولة بحذف واواتها على الرغم من أنه لم يكتنفها ثقيلان، أي لم توجد بين ياء وكسرة. ذلك أنه يحمل مالا علة فيه على ما فيه علة. وهو مذهب مطرد في كلام العرب طرداً للباب ليكون على وتيرة واحدة (٢٠).

٣ـ التحويل بالحذف في فعل الأمر:

الحذف في الفعل الأمر يلحق فاءه أو عينه أو لامه أو فاءه ولامه معاً.

التحويل بحذف فائه التي هي همزة:

نقف على مثال له في الأيتين الكريمتين (كلوا منها حيث شئتم) (الاعراف / ١٦١). و(وأمر قومك) (الأعراف م ١٤٥) ذلك أن الفعلين " كلوا " و" وأمر " وزناهما " عُلوا " و" واعل وبنيتاهما العميقتان: " أأكلوا " و" أأمر ". فالهمزة الثانية هي فاء الفعل، والأولى هي همزة وصل(٢١). حذفت الهمزة الثانية تجنباً لتكرار صامتين (همزتين). فانحذفت همزة الوصل لأن ما بعد الفاء المحذوفة " كاف " و" ميم " محركان. ولأن " أكل "و " أمر " مضارعا هما:

" أأكل " و" أأمر "، وحيث إن الأمر هو مضارع تحذف حرف مضارعه، ويسكن أخره(٢٢) يصبح الفعلان " أكلوا " و" أمر ". ولما كان لا يبدأ في العربية بالساكن حذفت همزة القطع (فاء كل فعل) فصار الفعلان " كُلوا " و" مر ". غير أنه إذا تقدم " مر " واو أو فاء، فإن إ ثبات همزة الوصل أجود(٢٣). إذ لم يرد في القرآن الكريم الأمر من " أمر " بغير همزة الوصل. لكن "ابن قتيبه "يرى غير ذلك حيث يقول: " فالمستعمل في أمر يأمر مر "(٢٤).

٤ـ التحويل بالحذف في اسم الفاعل:

حذف لامه في (الثلاثي):

و نقف عليه في اسم الفاعل الوارد في الآية (مالهم من واقٍ) (الرعد / ٣٤) وهو "واق" المشتق من الفعل الثلاثي " وقى " الذي بنيته العميقة " وقي ". فاسم الفاعل " واق " "جاء مجروراً لفظاً. وزنه: " فاعٍ " وكان القياس أن يكون"" واقي " على وزني " فاعل حذفت كسرتها في " واقي " فتسبب ذلك في اجتماع ساكنين: الياء والتنوين الذي عليها وهو مستثقل لمجيء كسرة بعد كسرة وياء(٢٥) فحذفت الياء – أي لام الاسم-. ونقل التنوين إلى القاف في " واق " لانه عوض من ذهاب حركة الياء(٢٦).

ولا يقتصر الحذف على المشتق من الثلاثي بل يشمل المشتق من المزيد من مثل هذا الوارد في الآية التالية: (إنما أنت مفترٍ) (النحل / ١٠١)، وهو" مفتر".

٥ـ التحويل بالحذف في اسم المفعول:

١- التحويل بحذف عينه:

أ- التحويل بحذف عينه التي أصلها واو:

يقول اللّه: (فتقعد ملوماً محسوراً) (الإسراء / ٢٩). و" ملوما " اسم مفعول جاء مشتقاً من الثلاثي الأجوف " لام " الذي بنيته العميقة " لوم " ووزن " ملوماً " " مَفُولا " وكان قياسه أن يكون" ملوُوما " على وزن " مفعولا ". بعد نقل ضمة عينه إلى اللام، التقى ساكنان (واوان). فحذفت إحداهما. فالخليل ومن شيعته سيبويه يذهبان على أن الواو الثانية (واو مفعول) هي المحذوفة. أما" الأخفش" فيرى أن المحذوفة إنما هي عين الاسم(٢٧) والمسوغ للحذف هو نشدان الخفة. قال سيبويه: " ولا نعلمهم أتموا في الواو لان الواوات أثقل عليهم من الياءات "(٢٨).

ب- التحويل بحذف عينه التي أصلها ياء:

ونجد مثالاً له في قوله تعالى: (إن لمدينون)(الصافات / ٥٣). ذلك أن " مدينون "(٢٩) اسم مفعول وزنه " مَفِيلون "، مشتق من الفعل الثلاثي " دان " الذي بنيته العميقة " دين ". وكان حق اسم مفعوله أن يكون " مديونون " على وزن " مفعولون " بعد نقل ضمة عينه (الياء) إلى الدال المهملة التقى ساكنان، فحذفت واو " مفعولون " فصار " مَدُيْنون " ثم قلبت ضمة الفاء كسرة لتجانس الياء. وبذلك أصبح اسم المفعول " مَدِينون " بعد تحويل بالنقل، وآخر بالحذف، وقلب الضمة كسرة.

٢- التحويل بحذف لامه التي أصلها ياء:

قال تعالى: (وآخرون مرجون لأمر اللّه) (التوبة / ١٠٦) و" مرجون " اسم مفعول، وزنه " مُفْعَون " مشتق من الفعل المزيد الناقص " يُرجى " الذي بنيته العميقة" يرجي " قلبت الياء ألفاً " لأنه لم تصح الواو والياء المتحركان وقبلهما فتحة "(٣٠) وكان حق هذا الاسم أن يكون " مُرجيون " على وزن " مُفْعَلَوْن " حذفت لامه(الألف المنقلبة عن ياء) لتوالي ساكنين " مرجاْوْن " ثم سكنت واو الجماعة للتمكن من النطق بها بعد فتح ما قبلها. وبقيت الفتحة للدلالة على أن المحذوف ألف(٣١).

٦ـ التحويل بالحذف في الصفة المشبهة:

التحويل بالحذف لا يكون إلا لعينها. ونقف على مثال لذلك في قوله تعالى: (وأحيينا به بلدة ميتاً)(ق / ١١). حيث إن كلمة " ميتاً " صفة مشبهة، مشتقة من الفعل الأجوف الواوي"مات" الذي بنيته العميقة "موت ". قلبت (الواو) عين الصفة ياء للتمكن من الإدغام وبعضهم يذهب إلى حذف هذه الياء (٣٢) تجنبا لاجتماع ياءين وكسرة " ميِيتا ". سعياً وراء التخفيف وفي هذا السياق أورد صاحب شرح المفصل قولاً للزجاج جاء فيه: " الميت مخفف، وهو الميّت بالتشديد، والمعنى واحد " (٣٣).

٧ـ التحويل بالحذف في اسم التفضيل:

الحذف المقيس:

لا يكون إلا للامه. قال تعالى: (وانتم الأعلَوْن)(آل عمران / ١٣٩). فاسم التفضيل " الأعلون " جاء محلى بأل التعريف مطابقاً للموصوف " أنتم ". وزنه " الأفعَوْن " وبنيته العميقة " الأعلَوُون " على وزن "الأفَعلُون" حذفت لامه (الواو المنقلبة عن الألف). لأن أصله " الاعلو " من " علا " قبل إسناده إلى واو الجماعة. وسبب الحذف هو توالي شبه مثلين " الأعلاون " (لام الاسم، وواو الجماعة) وفي ذلك ثقل بين. وبعد الحذف سكنت واو الجماعة، للتمكن من النطق بها، على نحو ما أوضحنا في حذف لام اسم المفعول " مرجون ".

ثانياً ـ التحويل بالحذف في المصادر:

أ ـ التحويل بحذف فائه التي أصلها واو:

قال تعالى: (لا تأخذه سنة)(البقرة / ٢٥٥). فـ " سنة " مصدر سماعي، جاء على وزن "عِلَة"، فعله " وسن ". وكان أصله أن يكون " وِسْنا " (٣٤)على وزن " فِعْلا ". حول بأن حذفت فاؤه (الواو) لكون الواو مكسورة. والكسرة تستثقل على الواو، ثم لأن المصدر المأخوذ من المثال الواوي، يحول بحذف فائه حملاً على مضارعه. ثم حركت عينه التي هي السين بحركة الفاء المحذوفة (الكسرة) ليكون بقاء كسرة الفاء دليلاً عليها (٣٥). ولقد لاحظنا أن المصدر " سنة " زيدت فيه تاء التأنيث، لأن القياس فيما حول بحذفت فائه أن يعوض عنها بالتاء في آخره. قال ابن

جني: " لما حذفوا فاء عِدة عوضوا منها نفسها التاء " (٣٦).

ب ـ التحويل بحذف عينه التي أصلها واو:

و نقف على عينة له في قوله تعالى: (ويوم إقامتكم) (النحل / ٨٠). فـ " إقامتكم " مصدر قياسي، جاء على وزن " إِفْعِلَتكم ". وكان الأصل أن يكون " إقوامكم " على وزن " إفعالكم "، لأنه من الفعل أقام " بعد النقل والقلب صار " إقاامكم ". وبسبب التقاء ألفين (عين المصدر وألف الوزن) حذفت إحدى الألفين، وعوض عنها بالتاء طلباً للخفة.

ذهب" الأخفش " إلى أن الألف المحذوفة هي الأولى. ورأى " الخليل" و" سيبويه " أن الألف الثانية الزائدة هي المحذوفة لقربها من الطرف، ولأن الاستثقال بها حصل.

جـ ـ التحويل بحذف لامه التي أصلها ياء:

نجد مثالاً له في الآية الآتية: (وتصليه جحيم)(الواقعة / ٩٤). ذلك أن " تصليه " مصدر قياسي، جاء على وزن " تفعله ". فعله الثلاثي الناقص المزيد بالتضعيف، هو" صلّى ". وقياس مصدره " تصلِيْي " على وزن " تفعيل " حول هذا المصدر بأن حذفت منه ياء " التفعيل " (ياء الوزن) بسبب توالي ياء ين لما فيه من ثقل. وعوض منها بالتاء في آخره. والذي يقوي أن المحذوفة هي ياء الميزان هو كون المصدر الصحيح من هذا الوزن لا تحذف لامه، وإنما تحذف ياء " التفعيل " في مثل قوله تعالى (ليجعلها لكم تذكرة) (الحاقة / ١٢). ذلك أن المصدر " تذكرة " وزنه " تفعلة " من الفعل الرباعي " ذكّر " لم تحذف راؤه التي هي اللام، وإنما حذفت منه ياء التفعيل. إذ إن أصله " تذكير ".ثم إن الياء الثانية (اللام) متحركة، وياء " التفعيل " ساكنة، والساكن لضعفه أولى بالحذف.

هوامش وإحالات الفصل الثالث

(١) المبارك محمد: فقه اللغة وخصائص العربية، ص٦٤.

(٢) د. السيد عبد الرحمن: مدرسة البصرة النحوية، ص٣٧٠.

(٣) د. السيد عبد الرحمن: مدرسة البصرة النحوية، ص٣٧٥.

(٤) ابن جني: الخصائص، ١/ ١٥١.

(٥) الجوهري: المرجع نفسه، ٥/ ١٧٧٣.

(٦) ابن مالك آمنة: الحروف العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة قسنطينة، ١٩٨٢، ص٤١٣.

(٧) النحاس مصطفى: (التحويل الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية)، مجلة اللسان العربي، المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٠، العدد١٨، ١/ ٤٧.

(٨) بوخلخال عبد الله: التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب، ص ١٨٤.

(٩) مبارك مبارك: قواعد اللغة العربية، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢، ص ٦٢، عباس حسن: النحو الوافي، ٤ / ٧٥٧.

(١٠) داود عبده: أبحاث في اللغة العربية ن ص ٤٦.

(١١) الزمخشري: المفصل ن ص ٣٧٥.

(١٢) ابن يعيش: شرح المفصل ١٠ / ٥٩.

(١٣) ابن جني: المنصف، ٢ / ١٦٧.

(١٤) الزمخشري: المفصل، ص ٣٧٥، وابن يعيش: شرح المفصل، ١٠ / ٦١.

(١٥) ابن جني: المنصف، ١ / ٢٠٦.

(١٦) اللبلي أحمد بن يوسف الأندلسي: بغية الأمال في المستقبل الأفعال الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢، ص ٤٥.

(١٧) الفارسي ابو علي الحسن بن احمد: التكملة، ص ٢٥٧.

(١٨) ابن جني: المنصف، ١ / ٢٧٨.

(١٩) سيبويه: الكتاب، ٢ / ٢٣٢.

(٢٠) الأنباري: مدرسة البصرة النحوية، ص ٣٨١.

(٢١) يسميها الخليل سلم اللسان مدرسة البصرة ٣٨١.

(٢٢) يبنى الأمر على الضم عند اتصاله بواو الجماعة.

(٢٣) السيوطي: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، ٦ / ٢٥٢.

(٢٤) ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص ٢٠٩ ، والاستراباذي: شرح شافية ابن الحاجب، ٣ / ٥٠، والحسني

obeikandl.com

جمال الدين: مجموعة الشافية، ١، / ٢٥٨.

(٢٥) ابن قتيبة: أدب الكاتب، ص ٢٠٧، ٢٠٨، وعلوش جميل: ابن الأنباري وجهوده في النحو، ص ٣٤٩.

(٢٦) ابن جني: المنصف، ٢/ ٧٠، وابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ١ م ٣٧٦.

(٢٧) ابن يعيش: شرح المفصل، ٨٢/١٠، وابن جني: الخصائص، ٦٦/٢. والسكاكي: مفتاح العلوم، ص٥٠.

(٢٨) سيبويه: الكتاب، ١ / ١٣؛ التعريف الكوفي، ص ٣٩.

(٢٩) مدينون: مجزيون ومحاسبون: الزمخشري: الكاشف، ٢ / ٢٩٩.

(٣٠)ابن جني: المنصف، ٢ / ١١٦. وابن جني: المنصف، ٣ / ٨٢.

(٣١) الحسيني جمال الدين: مجموعة الشافية، ٢ / ٥٩

(٣٢) سيبويه: الكتاب، ٢ / ٣٧٢، وابن جني: الخصائص، ١ / ١٥٥.

(٣٣) الحسيني جمال الدين: مجموعة الشافية، ٢ / ٢٠٩، وابن جني: المنصف، ٢ / ١٧.

(٣٤) الكتاب: سيبويه ٢ / ١٢١.

(٣٥) الأشموني: منهج السالك على ألفية ابن مالك، ٣ / ٨٨٤، وابن هشام أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٢ / ٢٤٠.

(٣٦) ابن جني: الخصائص، ١ / ١١٤.

oberikandl.com